



# حديث عن الأرض

- المُسلم مطالب بالحفاظ على الأرض ومسؤول عن طهارتها وعدم تدهورها وهو مسؤول خاصة عن وطنه الذي ينبغي أن يدفع عنه كل عدوان
- المواطن محكوم بالتزامات يتقيد بها في وطنه تكفل راحة الناس ومنها عدم ارتكاب الأخطاء في صيد البر والبحر كقتل الطير المنطلق
- التعرض لصغار السمك ورميه في البحر بعد أن ينفق سلوك معيب وتلويث البيئة والتصبيح على المنازل وعدم احترام قوانين المرور.. خرق للالتزام
- حب الوطن واجب وحمانيته لازمة ولا يجوز التهاون في ذلك مطلقاً وحوزة البلاد ليست محل مجاملات والتفريط بالحدود مرفوض



بقلم:

د. يعقوب يوسف الغنيم

ويحرم على الشخص أن يجري ماء في أرض غيره، أو سطحه بلا إذنه، ويصح الصلح على ذلك ب عوض. ومن له حق ماء يجري على سطح جاره لم يجز لجاره تعليقه سطحه ليمنع جري الماء.

وحرم على الجار أن يحدث بملكه ما يضر بجاره: كحمام أو كنيف أو رحي أو تنور وله منعه من ذلك ويحرم التصرف في جدار جار أو مشترك بفتح روضة أو طاق أو ضرب وتد ونحوه إلا بإذنه وكذا وضع خشب إلا أن لا يمكن تسقيف إلا به ويجبر الجار إن أبى وله أن يسند قماشه ويجلس في ظل حائط غيره وينظر في ضوء سراجها من غير إذنه وحرم أن يتصرف في طريق نافذ بما يضر المار كإخراج دكان ودكة وجناح وساباط وميزاب ويضمن ما تلف به ويحرم التصرف بذلك في ملك غيره أو هوائه أو درب غير نافذ إلا بإذن أهله ويجبر الشريك على العمارة مع شريكه في الملك والوقف وإن هدم الشريك البناء وكان لخوف سقوطه فلا شيء عليه وإن لزمه إعادته وإن أهمل شريك بناء حائط بستان اتفقا عليه فما تلف من ثمرته بسبب إهماله ضمن حصّة شريكه.

(الدكة والدكان معروفان، وكذلك الجناح، أما الميزاب فهو ما نسميه في لهجتنا (المزاج) الذي ينصب به ماء المطر من سطح المنزل إلى أسفله. والساباط: سقيفة بين حائطين بينهما ممر، وهو الذي نسميه: المسقف).

ونفهم مما جاء في هذا النص الفقهي الواضح أن هناك التزمات ينبغي أن يتقيد بها كل مواطن في وطنه. وهي كلها أمور تكفل مراعاتها راحة المواطنين وسعادتهم، وتؤدي إلى تآلفهم وهودئهم. ومن هذه التزمات:

- عدم ارتكاب الأخطاء في صيد البر والبحر، فقد وجدنا أناساً لا يجدون تسليتهم إلا في إطلاق النار على الطير المنطلق، فهم يقتلونه وهو في الجو فيسقط ميتاً سلبوا منه الحياة التي وهبها الله له دون فائدة ترجع عليهم غير إشباع نفوس غير سوية.

- ووجدنا في البحر أناساً يبالغون في صيد الأسماك ويتعرضون في صيدهم إلى صغار السمك، يقومون برميها في البحر بعد أن ينفق دون أن تترك لنموه فرصة مما تسبب في نقص الثروة السمكية في البلاد.

- قيام البعض بتلويث البيئة بكل الوسائل وذلك برمي الأوساخ دون مراعاة للنظافة أو للشروط الصحية المطلوبة.

- التصبيح على الناس في منازلهم بسد الطرقات الفاصلة بين بيتين، وعدم احترام حقوق الجار وذلك برمي مياه الغسيل في الطريق أمام بيته مما يؤذيه ويؤذي بقية المارة.

- عدم احترام قواعد المرور من قبل بعض سواق السيارات، وذلك فيه إزعاج للناس وخطر على أرواحهم.

- قطع الأشجار البرية، أو التي غرسها الغير.
- الجلوس في الطرقات بصورة تؤذي المارة.
- إحداث ضجيج يفرغ الجيران، ويؤثر على المارة وكل هذا يضاف إلى ما ذكر مؤلف كتاب «دليل الطالب» الذي سبق الإشارة إليه.

○○○

وأخيراً فإن وطننا جزء من هذه الأرض التي ورد عنها الحديث هنا، وقد تبين لنا أنها مما أمّن الله سبحانه وتعالى به علينا من نعمائه، ومن أجل ذلك، ولأن كل مواطن مرتبط بوطنه الذي نشأ فيه، فإن حب الوطن واجب، وحمانيته لازمة، ولا يجوز التهاون في ذلك بأي صورة من الصور، فإنه ليس من الحزم التراخي في الاهتمام بحماية بلدنا في حالة من حالات المجاملة مع الغير، لأن حوزة الوطن ليست - أبداً - محل مجاملات، وأي تصريح فيه تفريط بحدودنا فهو مرفوض لأنه إهدار لحق وطننا، وفيه دفع للغير إلى مزيد من الأطماع فيه.

يستطيع أي إنسان أن يعبر عن تقديره لنن يشاء. ولكن ذلك لا ينبغي أن يتعدى إلى الاستهانة بحدود البلاد، لأن الحدود جزء من كرامة الوطن وأهله.



بيتنا البحرية أصبحت مهددة بسبب ممارسات غير حضارية



حماية البيئة من التلوث واجب على كل مواطن فضلا عن الجهات المعنية

## القرآن ذكر كوكبنا في أكثر من 230 موضعاً ونهى عن الإفساد فيه وأكل حقوق الناس وظلمهم

عني به الأوروبيون قبل أن يعني به المحدثون من أبناء الأمة العربية. هذا الكتاب مطبوع في باريس سنة 1840م، وطبعته أخيراً دار صادر في بيروت مصوراً عن الأصل، وكان قد اعتنى بتحقيقه اثنتان من المستشرقين مع تعليقات يسيرة.

وقد تحدث أبو الفداء عن الأرض بصفة عامة وعن أقسامها، وعن الجبار والبلدان بكل إفاضة، ولكن ما يهمنا هنا أن نتعرض ما ذكره عن الأرض، فقد قال: «في معرفة أجزاء الأرض: خط الاستواء، وهو الدائرة العظيمة المتوهمه التي تمر بنقطتي الاعتدالين الربيعي والخريفي، وتفصل الأرض نصفين أحدهما شمالي والآخر جنوبي»، ثم يضي في هذا السبيل ذكراً كل ما يتصل بإقسام الأرض مما لا سبيل إلى ذكر هنا خشية الإطالة والإملا.

□□□

ونستطيع أن نجد كثيراً من المعلومات عن الأرض من حيث صفاتها ونشأتها، وما تحتوي عليه، وكل هذا مرصود في الكتب العلمية، والقارئ من معلومات، وفي الإنترنت. ولكن كل ذلك قد يكون محل نظر، لأن ما ورد في كتاب الله عز وجل يعني عنه، غير أن الإشارة السريعة إلى ما كتب فيما ذكرناه من وسائل النشر المختلفة بهذا الخصوص لا بد منها. وهذا هو كتاب: «الموسوعة العربية الميسرة» الذي صدرت طبعته الأولى في سنة 1960م، يضم بين دفتيه بعضاً مما ألمانا إليه، فقد جاء فيه عن الأرض في المجلد الأول ص 167 و 168

حديث موجز ولكنه مفيد وكاف، وفيه تقريبات للمعلومات الحديثة المتداولة عن كوكبنا الذي نعيش فوقه. ومن أجل استكمال الفائدة فهذا نص ما جاء في هذه الموسوعة:

الأرض خامس كوكب من المجموعة الشمسية من حيث الحجم، والكوكب الوحيد فيها الذي يعرف بأنه يحمل الحياة. وهي ثالث الكواكب من حيث ترتيبها من الشمس ويوجد بينها وبين الشمس كوكبا عطارد والزهرة. ومتوسط بعد الأرض من الشمس حوالي 149637000 كم. تدور الأرض حول محورها الذي يتعامد على مستوى خط الاستواء ويمر خلال مركزها منتهاها في الشمال والجنوب عند قطبيها الجغرافيين، وتبلغ فترة الدورة الكاملة يوماً. ودوران الأرض حول محورها هو الذي يسبب تعاقب الليل والنهار، وهي تدور كذلك حول الشمس في فلك بيضي الشكل متممة دورة كاملة في 365 1/4 يوم. ويسبب هذا بالإضافة إلى ميل المحور على مستوى 23 1/2 درجة اختلاف الفصول، إذ إن الأرض تكون بذلك أقرب إلى الشمس في بعض الفصول منها في البعض الآخر. ويبلغ الفرق بين أقرب مواضعها وأبعدهما من الشمس حوالي

وزعم آخرون أنها كهيئة المائدة. ومنهم من زعم أنها كهيئة الطبل. وذكر بعضهم أنها تشبه نصف الكرة كهيئة القبة وأن السماء مركبة على أطرافها. والذي عليه الجمهور أن الأرض مستديرة كالكرة وأن السماء محيطة بها من كل جانب كحاجطة البيضة بالمحة، فالصفرة بمنزلة الأرض، وبياضها بمنزلة الماء وجدها بمنزلة السماء، غير أن خلقها ليست فيه استتالة كاستتالة البيضة بل هي مستديرة كاستدارة الكرة المستديرة المستوية الخراط، حتى قال مهندسوهم: لو حفر في الوهم وجه الأرض لأدى إلى الوجه الآخر، ولو نقب مثلاً بأرض الأندلس لنفذ الثقب بأرض الصين.»

وفي هذا النص شاهد على ما ذكرناه عند تقديمنا له، لأن من يطالع عليه يرى مدى الاختلاف في آراء العلماء حول صفة الأرض، ويرى أن ابن الورد يذكّر كل رأي عن هذه الآراء قائلاً: زعم فلان، وزعم آخر، مما يدل على أنه لا يتبنى آياً من هذه الآراء التي ذكرها. ولكننا نقلنا أقواله باعتبارها مما ورد في شأن الأرض قديماً، وذلك للدلالة على انشغال العلماء المسلمين بذلك منذ زمن بعيد يحدهم إلى ذلك أمر الله سبحانه وتعالى بتأملها من حيث خلقها، وما نرى أعلاها من بشر وحيوانات، وما كساها به من الزروع المنتجة للثمار، فهم في علمهم يستجيبون لدعوته عز وجل حين أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يُخِشِه أمتة إلى التامل المستمر، وذلك في قوله الكريم (سورة العنكبوت، الآية رقم 20): (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير)

وإذا رجعنا إلى الوراء وجدنا أحد علماء المسلمين الذين فرغوا أنفسهم للمباحث المتعلقة بالبلدان، وألّفوا في ذلك. وهو عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بابي الفداء المتوفى في سنة 732هـ (1331م) وكان رجل دولة، وعالمنا يكفي أن يذكر له كتابه تقويم البلدان، وكتابه الآخر: المختصر في أخبار البشر، وهو كتاب في التاريخ. وقد كانت له شهرة كبيرة حتى في البلدان الأوروبية، ومن أجل ما وصل إليه من معرفة فقد نقش اسمه في قاعة المحاضرات الخاصة بالجمعية الجغرافية الفرنسية في باريس.

ولقد قورن في العالم الإسلامي بالخليفة العباسي المأمون، ذلك لأن أبا الفداء كان عالماً وحاكماً معا كما كان المأمون، وقد قال ابن الورد في ذلك: «لقد رأيت جماعة من ذوي الفضل يزعمون أنه ليس في الملوك بعد المأمون أفضل منه.»

ولهذا العالم الذي تحدثنا عنه أتفا كتاب مهم في الجغرافيا عنوانه: «تقويم البلدان»، وقد سبق الإشارة إليه، ولأهمية هذا الكتاب فقد

للأرض التي احتضنت البشرية منذ أبينا آدم ﷺ كل الاهتمام. إذ يلزمنا الحديث عنها كلما سنحت الفرصة، لأن ما ينبغي أن يعرف عنها وعن سكانها من الناس والأنعام والطيور والأسماك وما شابه ذلك من أمور لا يمكن إجمالها في مقال أو في كتاب، لأن ذلك أمر بطول. وبيدنا أن الله سبحانه وتعالى قد ذكر هذا الكوكب في أكثر من مائتين وثلاثين موضعاً من كتابه الكريم: القرآن، وكان ذلك ضمن آيات بيئت خلق الأرض، ومنافعها للناس، وكل ما يتعلق بما تتعرض له من قحط أو نماء حين ينزل عليها المطر فتتهزّ بالحياة بعد الجفاف الشبيه بالموت. ولعل مما ينبغي لنا أن نذكره هنا بعض الآيات المشيرة إلى ذلك، ومنها قوله عز وجل:

- 1 - في الآية رقم 19 من سورة الحجر: (والأرض مدناها والقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون (19)).
- 2 - ووردت الآية رقم 190 من سورة آل عمران وهي:

(إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لآولي الألباب (190))

3 - ونهى عن الإفساد في الأرض، فقال الشعراء: (ولا تجسسوا الناس أشياءهم ولا تعنوا في الأرض مفسدين (183)).

4 - وفي الآيات الكريمة (120 و121) من سورة الرحمن قوله تعالى: (والأرض وضعها للأنام (10) فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام (11) والحب ذو العصف والريحان (12)).

ففي رقم (1) بين لنا عز وجل كيف مد الأرض، وألقى فيها الجبال الرواسي لضمان استقرارها، وجعل كل شيء فيها متوازناً مما يكفل الحياة في جميع جوانبها، وجميع سماتها بما في ذلك النبات الذي فيه غذاء الإنسان وغيره.

وفي رقم (2) إشارة إلى أن خلق السموات والأرض ليس أمراً عادياً، واختلاف الليل والنهار كذلك، فكل تلك آيات خلقها الله لكي يعجز الخلق ويؤمنوا عندما يرون ما خلق وابدع فيما خلق. وفي الرقم (3) نبي عن أكل حقوق الناس، وعن ظلمهم، وعن الإفساد في الأرض، وذلك حتى تستقر حياة البشر فوقها، ويعيش الجميع في اطمئنان. وهنا نستدل - أيضاً - على وجوب المحافظة على الأرض بصيانتها المستمرة، ومداومة كف كل ما يخل بشؤون الحياة على ظهرها، ويعمل على إفسادها.

أما الآيات الواردة في سورة الرحمن ذوات الأرقام 10 و11 و12، فهي تدلنا على أن الله سبحانه وتعالى خلق الأرض لكي يعيش عليها خلقه، وهيا الوسائل الكفيلة براحتهم، واستمرار معيشتهم فيها، ومن ذلك ما جعله لهم من زراعات تضمن لهم الفواكه والحبوب والتمور والرياحين. وهذه نعمة ينبغي أن نذكر، وأن

يحمد الله سبحانه عليها دائماً.

□□□

ولقد تحدث القدماء من علماء المسلمين عن الأرض، وبخاصة منهم من بحث في شؤون البلدان، أو اهتم بالرحلات حولها، ولا ندعي أن ما ورد فيما كتب أمر مسلم به، لأن ظروف هؤلاء العلماء تختلف عن الظروف المتاحة لأمتنا في الوقت الحاضر، ولكننا لا بد وأن نشير إلى شيء مما ذكره تنويراً لهم، وبجهودهم، وللدلالة على أنهم كانوا يهتمون بالبحث في شؤون الحياة كلها، ومن ذلك اهتمامهم بما يتعلق بالأرض. ومما نستطيع أن نورد في هذا المجال ما كتبه سراج الدين عمر بن الورد المتوفى سنة 861هـ (1457م)، في كتابه «خريدة العجايب، وفريدة الغرائب»، وهو كتاب مطبوع في أكثر من طبعة، ويضم كثيراً من الغرائب التي جاء الحديث عنها نقلاً عن الرحالة أو نقلاً عن سبقه إلى الكتابة في هذه الموضوعات ذات المنحى الجغرافي، ومما قاله في وصف هيئة الأرض ما يلي:

«قد اختلف العلماء في هيئة الأرض وشكلها: فذكر بعضهم أنها مبسوطة مستوية السطح في أربع جهات: المشرق والغرب والجنوب والشمال.

